

المحرية في فضاء السجون

اكتُبت في باريس ، أكتوبر 1978.. وكان المسأّلات يُعلن فتح الباب للديمقراطية ، دون أن يكون لها تطبيق عملي على أرض الواقع !

انفتَح البابُ الحديد فجأةً ، وأعلن المسجّانُ

أنّ مدير السجنَ قادمٌ لرؤيتي

فتحتُ أجفاني على إنسانٍ

يشبه بعض إخوتي ..

لكنّه في زيّه الرسميّ

من غير أن ينظر في عينيّ

أبلغني القرار:

«.. أني لحسن سيرتي

مُنحتُ في الضنّاء .. ساعتين بالنهار»

* *

كانت سنين السجن في المزنّانة المنفردة

قد انمَحّى منها الصباحُ والمساءُ

لأنّ وضعَ النافذة

كان رديئاً .. يحرم السجنّ أن يرى السماءُ

صرتُ أَعِدُّ الوقتَ بالإفطار ، والغداء ، والمعشاة

مَرَقِّمًا بطرف ملعقة

على جدارٍ عفنٍ من الرطوبة

مرور يومٍ!

**

كانت سنين المسّجن في المزنزاة المنفرده

قد بدأت ضيقة وخانقة

لأنني كنت أحب الناس!

وحينما حرمت من حديثهم

كلمت نفسي .. هامساً وزاهقاً

لكنني بعد شهور

صمت كالمضطبان من حولي، وكالصخور

نسيت أننا في أي يوم

**

أقسى عذابِ النَّفسِ .. أَنْ نجبرها فُجاءةً على المثلِ

للمرة الأولى .. أكلتُ حينما أبولُ

أضربتُ ما أكلته ..

تحسّستِ يَدَيَّ جِبهتي من المذْهولِ ..

بكيتُ طوْلَ اليومِ ..

حلمتُ حينَ نمتُ أنني ملطّخٌ بدمٍ !

وَأَنْ خفاشاً بجَبهتي تعلقتُ أظافُرهُ

وذئبةٌ مَسعورةٌ تمزّقُ البَدَنَ

**

كانَ نهاراً مشمساً حينَ خرجتُ للفضاءِ

مرتفقاً ذارع حارسي القويِّ

ما كدتُ أخطو.. خُطوة أو خُطوتينْ

حتى صرختُ فيه أن يعودَ بي..

يعودَ بي..

قد كنتُ لَأَبْصُرُ شيْ!

* * *